مقالات الكوثري

بقلم العلامة

الشيخ محمد زاهد الكوثري

المتوفى سنة ١٣٧١ رضي الله عنه

كان وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية وأستاذ العلوم القرآنية في (معهد التخصص في التفسير والحديث) وأستاذ الفقه وتاريخه في القسم الشرعي من الجامعة العثمانية وأستاذ العربية في دار الشفقة الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م

« طبعة مزيدة ومنقحة »

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

ت ٥١٢٠٨٤٧

كتاب يسمى كتاب السنة

وهو كتاب الزيغ !

الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه إمام من أئمة المسلمين ليس عنده ما يشينه لا عملا ولا اعتقاداً ، وإن حاول بعض أصحابه شينه باختلاق ما اختلقوه عليه — كما نص على ذلك عالم الحنابلة أبو الفرج ابن الجوزى — وله موقف معروف فى محنة القول بخلق القرآن ، وكان رحمه الله شديد الورع ترك التحديث قبل وفاته بنحو ثلاث عشرة سنة وقبل تهذيب مسنده . كما نص على ذلك أبو طالب والذهبى وغيرهما ، وكان ينهى أصحابه أشد النهى عن تدوين فتياه ، فضلا عن أن يؤلف فى علم الكلام ، و « كتاب الرد على الجهمية » المنسوب إليه غير ثابت عنه ، كما دللنا على ذلك فى عدة مواضع .

(وأما ابنه عبد الله فهو الذى أخرج للناس كتاب المسند ، وحال المسند مشروحة فيما علقناه على « خصائص المسند لأبى موسى المدينى » وفيما كتبناه على « المصعد الأحمدى لابن الجزرى » .

وعبد الله هذا لم يرو عنه من أصحاب الاصول الستة غير النسائى، مع أنهم يروون عمن هو أصغر سنا منه ، والنسائى حينما روى عنه لم يرو عنه إلا حديثين ، وعبد الله بن أحمد هذا قد ورث من أبيه مكانته فى قلوب الرواة ، إلا أنه لم يتمكن من المضى على سيرة أبيه ، من عدم التدخل فيما لا يعنيه ، حتى ألف هذا الكتاب تحت ضغط تيار الحشوية بعد وفاة والده وأدخل فيه بكل أسف ما يجافى دين الله وينافى الإيمان بالله ، من وصف الله بما لايجوز ، فضل به أصحابه .

وكان أهل العلم يأبون إظهار هذا الكتاب سترا لفضائحه عن الأعين ، ثم نجم ناجم فى آخر الزمن لا يفكر فى العواقب ، ولا يعقل ما حواه من الضلال البعيد ، فسعى فى طبعه وإذاعته فتخاطفه المستشرقون وغيرهم ، إلى أن بدأ فى هذا القطر جهلة أغرار يدعون الى ما فى

كتاب السنة المذكور علنا جهارا كفعلهم فى كتاب الدارمى الذى فضحنا دخيلته فيما سبق .

والآن نتحدث عن كتاب السنة هـذا تحذيرا للمسلمين عما فيـه من صنوف الزيغ ، لاحتمال انخداع بعض أناس من العـامة بسـمعة والد المؤلف ، مع إن الكفر كفر كائنا من كان النافق به ؛ والزيغ زيغ كائنا ما كان مصدره ، وليس فى الاسلام دين يختلف باختلاف الأشخاص فالإيمان إيمان مطلقا ، والكفر كفر مطلقا ، وقـد أصاب ابن المبـارك حيث قال : « دعوا ذكر الرجال عند الحجاج » كما أخرجه الخطيب عنه فى « الفقيه والمتفقه » .

وها نحن أولاء نضع أمام أعين الناظرين نماذج من الزيغ المسجل فى الكتاب المذكور ، بقـدر مالا يدع عـذرا للجمهور فى الانخـداع بتلبيسات دعاة الوثنية اليوم المتوهين بشأن هذا الكتاب .

ففى ص ٥ من كتـاب السـنة : « فهـل يكون الاسـتواء إلا بالجلوس ؟ » وفى ص ٧٠ « إذا جلس الرب على الكرسى سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد » وفى ص ٧١ « إنه ليقعد على الكرسى فما يفضل منه الا قيـد أربع أصابع » فانظر الى هـذه الهذيانات فى جانب الله سبحانه من غير أن يصح فى ذلك خبر ما موهم قـد يعذر العامى إذا تمسك به من غير خوض فى المعنى ، وعبد الله بن خليفة فى الخبرين الأخيرين يقـول عنه الذهبى : لا يكاد يعرف وأبو اسـحاق مختلط ، فيكون سوق الخبرين من المؤلف مخادعة منه للمسلمين .

على أنه حيث سمى كتابه بكتاب السنة ، يفيد أن ما حواه ذلك الكتاب هو العقيدة المتوارثة من الصحابة والتابعين المتلقين عقيـدتهم طبقة فطبقة من خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه ، فيكون مخالفه إما كافرا أو مبتدعا عنده فيكون جميع ما حشره المؤلف فى كتابه بهذه المثابة فى نظره ، فلا حاجة الى مناقشـته فيما ساقه من الاسانيد ، لأنه لو لم يعتقد أن كل ما فيـه هو الاعتقاد الصحيح دائرا أمر من يخالفه

بين أن يكون كافرا أو مبتدعا عنده لما ضمنه كتابه المذكور ، فتبين بذلك الفرق بين ذكر شيء في كتاب يسميه مؤلفه باسم (كتاب السنة) وبين ذكره في كتاب لا يسمى بمثل هذا الاسم ، لأن الثاني لا يدل على أن جميع ما فيه مما يعتقده مؤلفه ، بل قد يكون جمع فيه ما لقي من الروايات تاركا تمحيصها للطالع ، بخلاف الأول ، فلا تناقش المؤلف في الأسانيد ، بل توجه النقد الى المؤلف مباشرة من جهة أن ما حواه هو معتقده .

ومن تصور ربا يجلس على الكرسي ويترك في جنبه موضعا يقعد عليه رسوله ، فقد تابع النصارى الذين يعتقدون أن عيسى عليه السلام رفع الى السماء وقعد في جنب أبيه ، تعالى الله عما يشركون ، كما شرحت ذلك فيما كتبت على « الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة » ، ويوم كان القرامطة يقلعون الحجر الأسود من الكعبة المكرمة كان هؤلاء الحشوية البربهارية يدعون الى هذه الوثنية ببغداد بالسيف ، كما يظهر من كتب التاريخ في أنباء سنة ٣١٧ هـ .

ويشهد التاريخ بأنه كلما استشرى شر المجسمة يستفحل أمر الالحاد ، وهذه قاعدة لم تنخرم في عصر من العصور ، فمن شاء فليعرض أهل عصره على هذا المحك ، ولابن عساكر الحافظ جزء في إبطال حديث الأطيط ، وكم أشرت الى ذلك فيما كتبت سابقا ! .

وفي ص ٣٥ « رآه على كرسي من ذهب يحمله أربعة : ملك في صورة رجل ، وملك في صورة أسد ، وملك في صورة ثور ، وملك في صورة نسر ، في روضة خضراء ، دونه فراش من ذهب : هذا هو معتقده في إله العالمين ، وشناعة هذه الاسطورة من الظهور بحيث لا تحتاج الى أي تعليق ، وهذه هي الوثنية الخرقاء التي يدعون الأمة اليها اليوم ! .

وفي ص ٦٤ « كيف كلم الله موسى ؟ قال : مشافهة » . أي شفة لشفة ، وهذا مثل ما في طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى في ترجمة الاصطخري عند ذكر عقيدة ينسبونها لأحمد « سمعه من فيه » تعالى عن ترهات المجسمة .

وفى ص ٦٣ « قالت بنو إسرائيل لموسى : بماذا شبهت صوت ربك — حين كلمك — من هـذا الخلق ؟ قال : شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يرجع » . وهـذا اعتقادهم فى كلام الله سبحانه ، وبشاعة ذلك ظاهرة جدا ، حيث جعل كلامه تعالى صوتا ثم شبهه بصوت الخلق[1] تعالى الله عن ذلك .

وفى ص ١٤٢ : « إن الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون ، حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش » وفى الصفحة بعدها « السماء منفطرا به ، قال مثقلة به مستلئة به » جل إله العالمين عن أن يوصف بما توصف به الأجسام من الثقل والخفة والتغير ، ولعل هؤلاء الوثنية عندهم قبانى أو موازينى يزن لهم معبودهم فيحكمون عليه بالثقل والخفة ، وجل إله العالمين عن ذلك كله . ولكعب الحبر كلمة شنيعة فى هـذا الباب لا أستسيغ نقلها ، والله سبحانه ينتقم منهم .

وفى ص ٦٧ « كتب الله التوراة لموسى بيده — وهو مسند ظهره الى الصخرة — فى الالواح من در يسمع صريف القلم ليس بينه وبينه إلا الحجاب » وفى ص ٦٨ « إن الله لم يمس بيده إلا آدم خلقه بيده والجنة .. والتوراة كتبها بيده ، ودملج الله لؤلؤة بيده ، فغرس فيها قضيبا فقال امتدى حتى أرضى ، وأخرجى ما فيك بإذنى ، فأخرجت الأنهار والثمار » . وفى ص ١٤٩ « أبدى عن بعضه » وفى ص ١٦٤ « ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء » و « حتى يضع يده فى يده » . وفى ص ١٦٥ « يمس بعضه » و « خذ بحقوقى » وفى ص ١٦٧ حتى يضع بعضه على بعضه » و « حتى يأخذ بقدمه » .

فهل ترك قائل هذه الكلمات شيئا من الوثنية والتجسيم ؟ هكذا اعتقادهم فى يد الله ، وهكذا قولهم بالأبعاض والمس فى جانب الله ، فهل يشك مسلم فى خروج من يعتقد ذلك من الإيمان الى الوثنية الصريحة !؟ .

---

(١) فى ص ٢٦ من هذه المقالات مقال (بدعة الصوتية) .

وفى ص ١٤٩ « أوحى الله الى الجبال : إنى نازل على جبل منك فتطاولت الجبال ، وتواضع طور سيناء ، وقال : إن قدر لى شىء فسيأتينى ، فأوحى الله إنى نازل عليك لتواضعك ورضاك بقدرى» .

فما رأى السادة القادة حملة هؤلاء الأغرار فيمن يرى هذا الرأى فى الله سبحانه ؟! .

وفى ص ٦٩ « أن يورك من فى النار » قال الله ، ومن حولها قال الملائكة » ولا يهمنا ورود خبر ساقط بوجود مختلط بين رواته ، وإنما يهمنا ادخال مثل هذه السخافة فى كتاب السنة ، وأصل البلاء من إلقاء بعض عبدة النار تلك الكلمة فى السنة بعض المغفلين من الرواة، هكذا يكون ترويهم فيما يعتقدون ، فلا قادة لمن يكون له هؤلاء قادة .

وفى ص ١٧٧ « ينزل الله فى ظل من الغمام من العرش الى الكرسى ... فيتمثل الرب فيأتيهم ، والرب أمامهم حتى يمر .. » أنظر الى هذه الجرأة فى اختلاق خبر حول آية ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام**﴾(١) التى هى بمعنى أنه تعالى يأتيهم بعذاب فى ظلل الغمام الذى ينتظرون منه الخير زيادة فى النكاية بهم . وانظر كيف حرفوها الى معتقدهم الباطل ، ومن تصور إلها يخطو خطوات ، ثم يتقدم الجماعة يمشى قدامهم فهو — الله — عريق فى الوثنية والبعد عن الدين الإسلامى . راجع ما ذكره المفسرون فى الآية المذكورة ، ولا سيما الرازى ، وراجع أيضا « الأسماء والصفات للبيهقى » حتى تبصق على وجوه من يهذى هذا الهذيان .

وفى ص ١٨٢ « إن لجهنم سبع قناطر والصراط عليهن ، والله فى الرابعة منهن ، فيمر الخلائق على الله عز وجل وهو فى القنطرة الرابعة» . قل لى بربك هل يحق أن يعد من أهل العلم من يسوق هذه الأساطير، من أمثال أيفع والهوزنى من أصحاب كعب الاحبار ، فى كتاب يؤلفه

---

(١) الآية ٢١٠ من سورة البقرة

فى بيان معتقد السنة . هكذا دخلت دسائس اليهود فى كتب المنتحلين من الرواة ، فلعائن الله على من يعتقد مثل ذلك فى الله سبحانه .

وفى ص ١٥٦ « ... فأصبح ربك يطوف فى الأرض ... » وفى ص ٤٨ « ثم يأتينا بعد ذلك يمشى ... » ويا ويح من يعتقد هذا فى إله العالمين .

وفى ص ٤٩ « فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسى بمنابر .. » أنظر الى هذه الوقاحة البالغة من واضع هذا الخبر كيف يقعد إله العالمين على كرسى محفوف بمنابر وكراسى يقعد عليها الأنبياء والصديقون والشهداء يترسم خطط الاحتفاء بالرجالات فى السرادقات ، وهذا مبلغ عقل واضعه ، والمنخدع به يكون أقل عقلا من الواضع . وهذا هو حديث يوم المزيد وهو باطل بجميع طرقه ، كما فى جزء الحافظ ابن عساكر .

ولعل هذا القدر من النصوص التى سقناها من «كتاب السنة» يكفى لمعرفة ما وراء الأكمه ، ولا أظن بمسلم نشأ نشأة إسلامية أن يميل إلى تصديق مثل تلك الأساطير الوثنية ، إلا أن تلبيسات الدعاة غير مأمونة الجانب عند سكوت أهل العلم ، فسردت من كتابهم المذكور ما يكفى لفضح دخيلتهم .

ولهذين الكتابين ثالث فى مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمة « كتاب التوحيد » وهو عند محققى أهل العلم كتاب الشرك ، وذلك لما حواه من الآراء الوثنية ، يستدل فيه مؤلفه على إثبات الرجل لله سبحانه بقوله تعالى : « ألهم أرجل يمشون بها » (١) فسبحان قاسم العقول ، وهو عين ما احتج به مجسمة طير ستان وبعض أصفهان كما ذكره السكسكى فى « البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان » حيث يقول فيه بعد أن ذكر معتقدهم فى الصورة والشعر القطط والشاب الأمرد وغير ذلك من الفضائح : يقولون — لعنهم الله — إذا لم يكن له عين ولا أذن ولا يد ولا رجل فما نعبده بطيخة ، ويحتجون بأن

---

(١) الآية ١٩٥ من سورة الاعراف .

الله ذم فى القرآن ماليس له جوارح فقال تعالى : « الهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » ،أه

وهذا غاية فى سوء الفهم وسوء المعتقد لظهور أن الله سبحانه إنما عير عبدة الأصنام الذين يقرون بأن الإنسان لا يعبد إنسانا مثله حيث يعبدون جماداً هو أحط وأدون من الإنسان تصويرا لهذه الشناعة البالغة أبلغ تصوير لا أن المعبود يجب أن يكون ذا جوارح ، وهذا ظاهر جداً لا يختاص فهمه على العامة فضلا عن الخاصة .

وفيه أشياء من هذا القبيل ، وكلامه فى الوجه لا يدع له وجها يقابل به أهل العلم ، وربما ينزعج ناشره من عدم الالتفات الى كتابه فى فى صدد النقد ، لكن أرى فيما ذكرناه كفاية ، حتى إذا وجب الكلام فيه لا تتأخر عن غربلته مع تبيين مذهبى ناشره القديم والحديث ومورد غثاه ليزداد علما بما هناك فيضم ذلك كله إلى ما يدونه عن الكوثرى لينشره بعد وفاته[1] !! ولا أدرى من أين اقتنع المسكين أن الأرض تخلو ممن يذب عن الحق بعد وفاة هذا أو ذاك ؟ ختم الله لنا ولهم بالخير ، وألهمنا وإياهم التوبة والإنابة .

ومما يذيب قلب المؤمن كمداً أن يرى انشطار الأمة ففريق يتحفز للرجوع إلى الوثنية الأولى ، وفريق آخر يهرول إلى الاندماج فى الغربيين روحا ومظهراً ، ويبقى فى الوسط (الإسلام الصحيح !!) إسلام النشاشيبى والجمهور حيارى ، وبكل تلك الفتن يتمخض الزمن فى مدة أقل من عشرين سنة ، ونشاهد هذا التدهور السريع فى هذه المدة اليسيرة بعد أن احتفظ الإسلام بكيانه مدة تزيد على ثلاثة عشر قرنا من غير أن يمسه سوء فى صميمه ، وهذا أمر خطر يجب أن يدرسه أهل الشأن باهتمام بالغ لاتخاذ تدابير تعيد الحائدين إلى حظيرة الإسلام علما وعملا وأخلاقا قبل فوات الفرصة وإلا فيعمل البلاء ويأكل الرطب

(١) لكنه مات قبل العلامة الكوثرى مع انه أصغر منه بكثير .

واليابس ، فإلى الله سبحانه نلتجىء وبه نستعيذ من عموم البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء .

وفى الختام أقول : إن الأئمة المتبوعين من أبعد الناس عن القول بأن الله فى السماء ، بل نقل على القارى فى « شرح المشكاة » إكفار القائلين بالجهة عن الأئمة الأربعة ، فما تجده فى كتب الحشوية من الرواية عن الإمام مالك عالم دار الهجرة ففى سنده عبد الله بن نافع الصائغ الأصم ، وفى سند ما يروى عن الإمام أبى حنيفة نعيم بن حماد ، وروج أمه أبو عصمة ، وفى سند ما يروى عن الإمام الشافعى أمثال أبى الحسن الهكارى ، وابن كادش والعشارى . وأما الإمام أحمد فهو برىء من أقوال غالب المنتمين إليه ، وكم نقلت نصوصه فى التنزيه فيما سبق فيما علقت وكتبت وفى مقدمة الأسماء والصفات ، وليس هذا المقام يتسع لبسط ذلك كله .

فمن طالع تلك النصوص بيقظة ينبذ بمرة واحدة هؤلاء الدعاة دعاة الوثنية ولا يبقى عنده أدنى ريب فى اتجاههم المردى رغم تقيتهم تقية الروافض .

وقد قمت ــ ولله الحمد ــ بكشف القناع عن وجوه هؤلاء الرعاع، بغربلة ما فى الكتابين اللذين يدعون إلى ما فيهما من الزيغ ، وبينت بعض ما فيهما مما ينافى دين الله وشرع رسوله ، فلا عذر بعد اليوم لمن ينخدع بتلبيسات هؤلاء الوثنيين ، وقد وضح الصبح لكل ذى عينين ، فالمرجو من العامة الذين يترددون إلى مجتمعاتهم من غير أن يعرفوا دخائلهم أن يتوبوا وينيبوا ويحترزوا من تكثير سوادهم فيما بعد رجوعا إلى الحق قبل تغلغل الباطل فى النفوس ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

***